ثم أخبر الله سبحانه بأنه استجاب له فقال : 88 - { فاستجبنا له } دعاءه الذي دعانا به في ضمن اعترافه بالذنب على ألطف وجه { ونجيناه من الغم } بإخراجنا له من بطن الحوت حتى قذفه إلى الساحل { وكذلك ننجي المؤمنين } أي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وما أعددناه لهم من الرحمة وهذا هو معنى الآية الأخرى وهو قوله : { فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون } قرأ الجمهور { ننجي } بنونين وقرأ ابن عامر { نجي } بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضي وإضمار المصدر وكذلك نجى النجاة المؤمنين كما تقول ضرب زيدا : أي ضرب الضرب زيدا ومنه قول الشاعر : .

(ولو ولدت فقيرة جرو كلب ... لسب بذلك الجرو الكلابا) .

هكذا قال في توجيه هذه القراءة الفراء وأبو عبيد وثعلب وخطأهم أبو حاتم والزجاج وقالا : هي لحن لأنه نصب اسم ما لم يسم فاعله وإنما يقال نجي المؤمنون ولأبي عبيدة قول آخر وهو أن أدغم النون في الجيم وبه قال القتيبي واعترضه النحاس فقال : هذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا يدغم فيها ثم قال النحاس : لم أسمع في هذا أحسن من شيء سمعته من علي بن سليمان الأخفش قال : الأصل ننجي فحذف إحدى النوتين لاجتماعهما كما يحذف إحدى التاءين لاجتماعهما نحو قوله تعالى : { ولا تفرقوا } والأصل ولا تتفرقوا قلت : وكذا الواحدي عن أبي علي الفارسي أنه قال : إن النون الثانية تخفى مع الجيم ولا يجوز تبيينها فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام فظن أنه إدغام ويدل على هذا إسكانه الياء من نجى ونصب المؤمنين ولو كان على ما لم يسم فاعله ما سكن الياء ولوجب أن يرفع المؤمنين قلت : ولا نسلم قوله إنه لا يجوز تبيينها فقد بينت في قراءة الجمهور وقرأ محمد بن السميفع وأبو العالية وكذلك نجى المؤمنين على البناء للفاعل : أي نجى الله المؤمنين .

وقد أخرج ابن جرير عن مرة في قوله : { إذ يحكمان في الحرث } قال : كان الحرث نبتا فنقشت فيه ليلا فاختصموا فيه إلى داود فقضى بالغنم لأصحاب الحرث فمروا على سليمان فذكروا ذلك له فقال : لا تدفع الغنم فيصيبون منها ويقوم هؤلاء على حرثهم فإذا كان كما كان ردوا عليهم فنزلت { ففهمناها سليمان } وقد روي هذا عن مرة عن ابن مسعود وأخرج ابن جرير والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن مسعود في قوله : { وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث } قال : كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته الغنم فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله قال : وما ذاك ؟ قال : يدفع الكرم إلى صاحب

الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه والغنم إلى صاحبيها فذلك قوله : { ففهمناها سليمان } وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مسروق نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه ولكنه لم يذكر الكرم وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عنه نحوه بأطول منه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه أيضا { نفشت } قال : رعت وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن حرام بن محيصة : أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدت فيه فقضى رسول ا A أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضامن على أهلها وقد علل هذا الحديث وقد بسطنا الكلام عليه في شرح المنتقي وأخرج ابن مردويه من حديث عائشة نحوه وزاد في آخره ثم تلا هذه الآية { وداود وسليمان } الآية وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [بينما امرأتان معهما ابنان جاء الذئب فأخذ أحد الاثنين فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاهما سليمان فقال : هاتوا السكين أشقه بينهما فقالت الصغرى : رحمك ا هو ابنها لا تشقه فقضى به للصغرى] وهذا الحديث وإن لم يكن داخلا فيما حكته الآية من حكمهما لكنه من جملة ما وقع لهما وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة في قوله : { وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير } قال : يصلين مع داود إذا صلى { وعلمناه صنعة لبوس لكم } قال : كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليها السلام وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : كان سليمان يوضع له ستمائة ألف كرسي ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي أشراف الإنس ثم يدعوا الطير فتظلم ثم يدعو الريح فتحملهم تسير مسيرة شهر في الغداة الواحدة وأخرج ابن عساكر والديلمي وابن النجار عن عقبة بن عامر قال : قال رسول ا A : [قال ا لأيوب : تدري ما جرمك علي حتى ابتليتك ؟ قال : لا يا رب قال : لأنك دخلت على فرعون فداهنت عنده في كلمتين] وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : إنما كان ذنب أيوب أنه استعان به مسكين على ظالم يدرؤه فلم يعنه ولم يأمر بالمعروف ولم ينه الظالم عن ظلم المسكين فابتلاه ا وفي إسناده جويبر وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية عن عبد ا بن عبيد بن عمير قال : كان لأيوب أخوان جاءا يوما فلم يستطيعا أن يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر : لو كان علم ا من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع من شيء قط مثله فقال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة قط شبعان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم

قال : اللهم إن كنت تعلم أي لم ألبس قميصا قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم خر ساجدا وقال : اللهم بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني فلما رفع رأسه حتى كشف ا عنه وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعا بنحو هذا وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : { وآتيناه أهله ومثلهم معهم } قال : قيل له يا أيوب إن أهلك لك في الجنة فإن شئت أتيناك لهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني عن الضحاك قال : بلغ ابن مسعود أن مروان قال في هذه الآية { وآتيناه أهله ومثلهم معهم } قال : أوتي أهلا غير أهله فقال ابن مسعود : بل أوتي أهله بأعيانهم ومثلهم معهم وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والروياني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس أن رسول ا A قال : [إن أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم : تعلم وا لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد قال : وما ذاك ؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يC فيكشف عنه ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك فقال أيوب : لا أدري ما يقول غير أن ا يعلم أني أمر بالرجلين يتنازعان يذكران ا فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهة أن يذكر ا إلا في حق وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى ا إلى أيوب في مكانه أن { اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب } فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهب ا ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت : أي بارك ا فيك هل رأيت نبي ا المبتلى وا على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا ؟ قال : فإني أنا هو قال : وكان له أندران : أندر للقمح وأندر للشعير فبعث ا سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض] وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : { وذا الكفل } قال : رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه ويقيمهم به ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان في بني إسرائيل قاض فحضره الموت فقال : من يقوم مقامي على أن لا يغضب فقال رجل : أنا فسمي ذا الكفل فكان ليله جميعا يصلي ثم يصبح قائما فيقضي بين الناس وذكر القصة وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : ما كان ذو الكفل نبيا ولكن كان في بني إسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحاكم وابن

مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق سعد مولى طلحة عن ابن عمر عن رسول ا A قال : [كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال : ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت : لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك وقال : وا لا أعصي ا بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوب على بابه : إن ا قد غفر للكفل] وأخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وابن مردويه من طريق سعد مولى طلحة وأخرجه ابن مردويه من طريق نافع عن ابن عمرو قال : فيه ذو الكفل وأخرج ابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في قوله : { وذا النون إذ ذهب مغاضبا } يقول : غضب على قومه { فظن أن لن نقدر عليه } يقول : أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه عليهم وفراره قال : وعقوبته أخذ النون إياه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس في قوله : { فظن أن لن نقدر عليه } قال : ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود { فنادى في الظلمات } قال : ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن سعد بن أبي وقاص سمعت رسول ا A قال : [دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له] وأخرج ابن جرير عنه قال : سمعت رسول ا A يقول : [اسم ا الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت : يا رسول ا هل ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ قال : هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا به ألم تسمع قول ا { وكذلك ننجي المؤمنين } فهو شرط من ا لمن دعاه] وأخرج الحاكم من حديثه أيضا نحوه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس قال : قال رسول ا A : [لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى] وروي أيضا في الصحيح وغيره من حديث ابن مسعود وروي أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة